Cairo University
Faculty of Archeology
Islamic Archeology Dept.
Post Graduate Studies

Hospitals in Cairo from the Ottoman Conquest to the End of the 19th Century

(Authentic Archeological Study)

A Thesis for the Ph. D in Islamic Archeology

By

Emad Abd El Raouf Mohammed El Rutail

Supervised by

Prof. Dr. Hosni Mohammed Mowaisser

Professor of Islamic Architecture
Faculty of Archeology
Cairo University

1428 A.H – 2007 A.D

Volume (1)

جامعة القاهرة
كلية الآثار
قسم الآثار الإسلامية
الدراسات العليا

دور العــلاج فى القاهرة من الفتح العثمانى وحتى نهاية القرن الـ 19

(دراسة آثارية وثائقية)

رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى الآثار الإسلامية

إعــداد

عماد عبد الروءف محمد الرطيل

إشراف

الأستاذ الدكتور/ حسنى محمد نويصر
أستاذ العمارة الإسلامية
كلية الآثار – جامعة القاهرة

□□□□هـ□□□□م

المجلد الأول

مقدمـــــة

خلق الله الإنسان لحكمة قدرها جل جلاله، وأنزله إلى الأرض التى قدرها عليه منذ أبد الآبدين بعد أن هيأها لاستقباله ليتخذها سكناً ويمارس عليها حياته بما فيها من تعب ونصب وصدق الله تعالى إذ يقول فى محكم آياته:﴿**لقدْ خَلَقْنَاَ الإنْسَاَن فِي كَبَدٍ**﴾ [1]

ولم يترك الله الإنسان سُدى بل زوده عز وجل بمعطيات حياتية تناسب وتلائم طبيعة الحياة على هذه الأرض، ومنذ اللحظة الأولى التى وطأت فيها قدم الإنسان أرض الدنيا شرع فى التعامل مع تلك المعطيات محاولاً أن يطوعها لقدراته، حتى يستطيع العيش عليها والتأقلم مع الظروف الطبيعية التى وجدها فيها.

ومن ثم بدأت رحلة الإنسان فى هذا الكون الفسيح منذ عصور ماقبل التاريخ وحتى عصرنا الحالى. وكان على الإنسان تدبير أمر احتياجاته الأساسية من مأوى آمن يحميه هو وأسرته وغذاء نافع يقيم أوده وكساء يدفئه ويستره.

وفى سبيل ذلك واجه الإنسان كثيراً من الصعاب حار فى تفسيرها وكيفية مواجهتها ويأتى فى مقدمتها ما شعر به من آلام وما ألم به من أمراض عديدة وعجزه عن معرفة أسبابها وأسلوب تخفيفها أو درئها.[2] وفى صراعه مع الآلام والأمراض بدأت تتكون اللبنات الأولى لمعارف طبية ظلت تتوارثها الأجيال وتضيف إليها وتعمل على تطويرها، حتى أصبحت علماً له أصول وقواعد ساعد كثيراً فى القضاء على كثير من الأمراض وتسكين الآلام وهو ما اصطلح عليه وعرف بعلم الطب وصحة الأبدان.[3]

---

[1] القرآن الكريم سورة البلد، آية رقم 4.

[2] عامر النجار، فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، ط الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1994م، صـ17.

[3] صلاح الدين الكحال، نور العيون وجامع الفنون، تحقيق د. محمد ظاهر الوفائى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1987، صـ21.

ولازم تطور الأمم والمجتمعات علمان هما من أقدم العلوم الإنسانية، أحدهما يعتنى بصحة الأبدان، والآخر يختص بالروح ويسمو بها، وقد سار كلاً العلمين جنباً إلى جنب فى طريق تقدم البشرية، حيث يعدان من أجل العلوم وأكثرها تبجيلاً، وقد أجمع المؤرخون على أن علم الطب وعلم الدين هما من أقدم العلوم التى عرفها الإنسان، ويمكن أن نتصور أمة بلا مدن ولا حضارة ولكننا لا نتصور أمة بلا دين أو طب. [1] وتتناول هذه الدراسة أحد هذين العلمين وهو الطب الذى يعد من أشرف وأجل المهن منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنه يقوم على تخفيف آلام المتألمين والمرضى فى كل مكان وحين.[2]

ويقول الإمام الغزالى "أشرف العلوم علم الدين وعلم الطب فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية، وثمرة الأخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف. وأن نسب الطب إلى الحساب كان الطب أشرف بثمرته والحساب أشرف لأدلته وبملاحقة الثمرة أولى لذلك علم الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين"[3].

الطب فى اللغة:

الطباب لغة العلاج، والطبابة (حرفة) الطبيب، وطابه أى داواه وعالجه والطب الحذق والمهارة والطب علاج الجسم والنفس ومنه علم الطب. وكلمة طب فى أبسط معانيها تعنى فن معالجة المرضى والمتألمين والمصابين، ومن هنا كانت مهنة الطب مهنة إنسانية بالدرجة الأولى، ولهذا كان بعض من امتهنها يريد أن تكون خالصة لوجه الله تعالى والإحسان إلى عبيده بعلاجهم دون أجر.[4]

---

[1] صلاح الدين الكحال، نور العيون وجامع الفنون، صـ21.

[2] د. عامر النجار، تاريخ الطب، صـ7.

[3] الأمام الغزالى، أحياء علوم الدين، تحقيق الشحات الطحان وعبد الله المنشاوى، جـ1، طـ1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1996، صـ 81.

[4] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1999، صـ385.

ويقول ابن خلدون: "صناعة الطب تنظر فى علم بدن الإنسان من حيث مرضه وصحته، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذى يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التى تنشأ عنها، ومالكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولاً فى السجية (الطبيعة) والفضلات والنبض محاذين بذلك قوة الطبيعة فإنها المدبرة فى حالتى الصحة والمرض، وإنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشئ بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب.[1]

وقيل عن الطبيب انه اسم يتناول من يطب، أما الذى يفحص ويصف الدواء فهو البطائعى، ومن يستعمل المرود فهو الكحال، وصاحب المبضع والمراهم هو الجرايحى، ومن يعمل بالموس فهو الخاتن، وصاحب الريشة هو الفاصد، أما الحجام فيستعمل المشرط، وصاحب الوصل والرباط هو المجبر، أما المكواة والنار فللكواء، وصاحب القربة هو الحاقن. وساء كان طبه لحيوان بهيم أو إنسان فاسم الطبيب يطلق فى اللغة على هؤلاء كلهم[2].

دور العلاج منذ فجر التاريخ:

استطاع الإنسان من خلال ملاحقاته وتجاربه أن يكون لنفسه رصيداً حضارياً شمل جميع جوانب حياته. وبتوالى السنين وتعاقب العصور تطور هذا الرصيد الحضارى وتنوع بتنوع الأمم التى ساهمت كل منها بأفكارها وتجاربها فيه.

ويأتى الطب على رأس القائمة التى تضم المعارف الإنسانية، لأنه وبحق يعتبر واحداً من أجل النجاحات التى حققها الإنسان فى مواجهته للظروف القاسية التى ألمت به[3]. وقد عنى الباحثون كثيراً بدراسة الجذور التاريخية للطب والعلاج وفن المداواة وتطوره

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، المطبعة التجارية بالقاهرة، صـ464، ب.ت.

(2) مجهول المؤلف، مخطوط فوائد طبية، محفوظ بجامعة الإمام محمد بالرياض تحت رقم 2316.

(3) جان شارل سورينا، تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة د. إبراهيم البجلاتى، سلسلة عالم المعرفة، العدد 281، مايو 2002، الكويت، صـ 8.

وطرق العلاج واختلافها. وظهور الأمراض وتنوعها وانتشار الأوبئة وبشاعتها وتناولوا أيضاً كيفية مواجهة الإنسان لها من حيث نجاحه فى الحد من خطورتها واتقاء شرها وتخفيف آلامها أو عجزه وقله حيلته فى صدها وفتكها به.

وجاءت دراسة المنشآت الطبية ودور العلاج فى ثنايا تلك الدراسات السابقة ولم تحظ بعناية الباحثين كثيراً مع أنها التطور الطبيعى والمنطقى لتقدم العلوم والمعارف الطبية. وقد أمدتنا الدراسات التاريخية بإسهامات الحضارات القديمة فى تطور طرق الطب والعلاج وكيف كان لكل حضارة ما يميزها. ولكن هل فطنت تلك الحضارات سواء كانت فى بلاد الرافدين أو الشرق الأقصى أو مصر القديمة أو بلاد الأغريق أو الرومان لأهمية وجود أماكن تخصص لاستقبال المرضى يقيمون فيها لينالوا قسطاً أوفر من العناية والرعاية الطبية. كما أن بعض المرضى حرصاً عليهم وعلى الأصحاء أيضاً أن يكونوا فى أماكن خاصة نائية نظراً لطبيعة مرضهم وسرعة انتقاله من إنسان إلى آخر فيما يعرف بالوباء.

وكما ذكرت سابقاً إن دور العلاج هى التطور المنطقى لتقدم المعارف والعلوم الطبية، لذا نجد أن الحضارات القديمة جاءت باللبنات الأولى لأماكن الاستشفاء، صحيح أنها كانت أماكن ملحقة ببنايات نفعية أخرى ولم تكن مستقلة بشأنها. ولكن كانت الفكرة فى حد ذاتها من الأهمية بحيث دلت على تطور العقل البشرى وإدراكه لما يفيده وينفعه.

إن المعلومات التى توافرت بشأن دور العلاج القديمة تعتبر من حيث الكم ضئيلة جداً ولكن استطعت أن أضع يدى على البدايات الأولى لهذه الدور وأماكنها والغرض من إنشائها وطبيعة الدور الذى لعبته.

إن أول إشارات لهذه الأماكن يؤكد أنها قامت أول ماقامت بين جدران المعابد فى جميع الحضارات القديمة، وهذا وضع طبيعى لأن غالبية المشتغلين بالطب كانوا من الكهنة. وضح ذلك بصورة جلية فى المعابد المصرية التى كانت تسمح بإقامة المرضى الذين أصيبوا

بأمراض عضال، حيث ينالوا الرعاية ويصرف لهم العلاج إلى أن تمن عليهم الآلهة بالشفاء.[1]

أما أول مركز لدار علاج منفصلة فقد جاء ذكره فى إلياذة هوميروس عام 1000 ق.م، عندما تحدث عن الطب ووصفه بأنه مهنة محترمة، ذكر أيضاً أنه كانت هناك دور علاج أطلق عليها اسم (أسكليبا) كانت منتشرة بأنحاء اليونان والأناضول. كما أدرك الطبيب (أبقراط) أهمية وجود مثل تلك المنشآت وأوصى ببنائها.[1]

وعندما تطور الطب الهندى على يد البراهمة 80 ق.م-1000م قاموا بإنشاء دور علاج لإقامة المرضى، وزودوها بمكتبات احتوت على الكثير من الكتب الطبية المهمة مثل كتاب (**شارا كاسا مهيبا**) الذى كتب فى القرن الثانى الميلادى والذى ترجع أصوله إلى محاضرات طبية من القرن السادس ق.م، كما كان هناك كتاب (**سوسروتا وفاجيهان**) فى القرنين الخامس والسابع ق.م.[2]

ويذكر ابن جلجل أنه عندما زار جالينوس (130-200م) مدينة روما رتب زيارات للهيكل وهو دار العلاج التى كان يتداوى فيها الجرحى، فأخذ يداوى ويطيب فظهر بذلك علمه وفضله.[3]

وقد رافق الأطباء والجراحون جيوش الإمبراطورية الرومانية فى غزواتها، وأقيمت مصحات أو منشآت للرعاية تؤوى المحاربين القدماء أو أصحاب العاهات مكونة أول مستشفيات ظهرت فى التاريخ. لكن هذه الأبنية وهذه المنشآت لا يمكنها الاستمرار فى أداء مهمتها إلا فى ظل إدارة منظمة ومنشآت مستقرة[4].

---

[1] د. حسن كمال، الطب المصرى القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، القاهرة، 1998، صـ17.

[1] د. عامر النجار، فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، 1994، صـ34.

[2] محمد مرسى عزب، لمحات عن الطب العربى الاسلامى، دار الطباعة والنشر الطبى، الإسكندرية، 1981، صـ120-123.

[3] أبن جلجل، طبقات الأطباء، صـ53.

[4] جان شارل، تاريخ الطب، صـ 64.

كما قامت الإمبراطورية الرومانية بإنشاء بيوت للعجزة وهى عبارة عن منشآت قريبة الشبه ببيوت الضيافة.[5]

وبعد اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية فى عهد الإمبراطور قسطنطين انتشرت الأديرة وأصبح بكل دير نزل لاستقبال الحجاج، بالإضافة إلى المستشفى الذى ألحق أولها فيما يبدو (بأوديسة) بسوريا، وقيصرية فى كابادواك فى القرن الرابع الميلادى، ثم فى القسطنطينية والقدس، وفيما بعد فى كل مكان. وكانت هذه البيوت تمول من أموال الهبات والمؤسسات الخيرية، وكانت مثلما تؤوى الأطفال حديثى الولادة كانت أيضاً تؤوى مرضى الجذام، أما وجودها ذاته فيوضح الدور الذى أضطلع به الدين فى الحياة الطبية. واستمر الحال كذلك حتى القرن التاسع عشر فى أوروبا حيث كانت دور العلاج تلحق بممتلكات الأوقاف المسيحية.[1]

ومنذ ظهر نظام الرهبنة المسيحية فى القرن السادس الميلادى، ومن ثم إنشاء الأديرة التى اتخذت أساساً للدراسة والتعبد وبعض الأعمال اليدوية البسيطة، وبمرور الوقت بدأت هذه الأديرة فى تقديم خدماتها خارج نطاق أسوارها، فمدت يد المساعدة للفقراء والمحتاجين، كما أدرك القائمون على أمر هذه الأديرة أن تخصيص أحد الأماكن به لإقامة مستشفى يعتبر عملاً من أعمال الخير. حقيقة من الصعب أن نطلق على تلك المنشآت لفظ مستشفى، لأنها كانت أقرب ما تكون إلى الفنادق منها إلى المستشفيات، غير أنها أدت خدمات جليلة فى ذلك الوقت.[2]

الإسلام والطب:

بعث الله عز وجل رسوله الكريم (محمداً بن عبد الله صلى الله عليه وسلم) بالهدى ودين الحق، وجاءت رسالته خاتمة جامعة شتى جوانب حياة الإنسان. وأهم هذه الجوانب هو

---

[5] جان شارل، تاريخ الطب، صـ72.

[1] جان شارل، نفسه، صـ72.

[2] جان شارل، نفسه، صـ105.

ما يتعلق بصحة الإنسان والإبقاء عليه سليماً معافاً، لذا فإن تعاليم الإسلام وحثه على النظافة التى هى قوام المظهر والعبادات، والاعتدال فى الطعام والصيام وحركات الصلاة كلها تفيد الجسم من الناحية الطبية كما جاءت المحرمات مثل الخمور وتناول لحم الخنزير وخلافه لتحفظ وتحمى صحة الإنسان[3]. وإذ كانت رسالة الإسلام تهتم غاية الاهتمام بصحة الإنسان، فإنها أيضاً أولت اهتمامها بمحاربة الكهانة والسحر والشعوذة بالإقناع والقول الطيب تارة[1] والزجر والنهى تارة أخرى[2].

وقد حث الرسول الكريم (ﷺ) على التداوى وأن يكون ذلك على أيدى الأطباء، فعن أسامة بن زيد قال: "كنا عند رسول الله (ﷺ) فأتاه أناس من الأعراب فسألوه يا رسول الله أنتداوى، قال: نعم تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا وأنزل له دواء"[3].

وقال جابر رضى الله عنه "بعث رسول الله (ﷺ) طبيباً إلى كعب فكواه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال "أصيب رجل من الأنصار يوم أحد فدعا رسول الله (ﷺ) طبيبين كانا فى المدينة، فقال عالجاه، فقالا: يارسول الله كنا نعالج ونحتال فى الجاهلية فما جاء الإسلام فما هو إلا التوكل فقال: عالجاه فبرء من جرحه.[4]

---

[3] د. أحمد شوكت الشطى، الطب عند العرب، صـ31، 33.

[1] عن النهى بالقول الطيب يقول ابن عباس: "أن رجلاً من ارد شنوه كان يقال له ضماد كان يعالج الأرواح فقدم مكة فسمعهم يقولون إن النبى (ﷺ) ساحر وكاهن ومجنون فقال لو أتيت هذا الرجل لعل الله يعافيه على يدى فلقيته فقلت يا محمد إن الله يشفى على يدى فقال النبى (ﷺ): (الحمد لله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد، فقال أعد على قولك فأعاد النبى (ﷺ) قوله ثلاثاً فقال: "والله لقد سمعت قول الكهنة وسمعت قول السحرة وسمعت قول الشعراء فما سمعت هؤلاء الكلمات، فمد يدك فبايعنى فمد النبى (ﷺ) يده فبايعه الرجل فقال النبى (ﷺ) وعلى قولك فقال وعلى توحى... يوسف التيفاش، مخطوط، الشفا فى الطب، محفوظ بدار الوثائق القومية، رقم 2317، طب تيمور.

[2] وعن الشدة فى محاربة الكهانة قول رسول الله (ﷺ) "من تطبب ولم يكن بالطب معروفاً فأصاب نفساً فما دونها فهو ضامن يوسف التيفاش، المصدر السابق".

[3] أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وأبو داوود والترمذى وأبن حباف والحاكم والطيالسى والحميدى وأحمد عن كتاب غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام، تأليف محمد ناصر الدين البانى، مكتبة المكتب الاسلامى، ط3، 1405هـ/1985م.

[4] الإمام محمد ناصر الدين البانى، المصدر السابق، عن أبو داوود والترمذى، صـ 131.

ومن تأمل هدى النبى (ﷺ) وجده أفضل هدى يمكن به حفظ الصحة، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح والاستفراغ والاحتباس. فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق والملائم للبدن والبلد والسن والعادة كان أقرب إلى دوام الصحة والعافية أو غلبتها إلى انقضاء الأجل.[5]

وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس قال: "قال رسول الله (ﷺ) نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.[1]

ويذكر عن ابن عباس: أن أعرابياً جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال له: "ما أسأل الله بعد الصلوات الخمسة، فقال سل الله العافية، فأعاد عليه فقال له فى الثالثة سل الله العافية فى الدنيا والآخرة.[2]

ومما هو جدير بالملاحظة أن ماروى وكتب عن الرسول الكريم (ﷺ) أدى إلى ظهور ما يسمى بالطب النبوى[3] وهو فى اعتقادى يعتبر فى منتهى الأهمية لأنه يمثل رحلة الانتقال من طب الكهانة والشعوذة إلى الطب المبنى على الملاحظة والتجارب العلمية وكون الرسول عربياً ومبعثه بين القبائل العربية أفاد الطب العربى كثيراً لأن العرب كما يقول الأستاذ العقاد "كانوا مؤهلين أكثر من غيرهم للأخذ بالأسباب العلمية فى الطب لأن الاشتغال الطويل برعى الإبل والماشية جعلهم يراقبون عن كثب ما يحدث من متغيرات أثناء الحمل والولادة، كما أنهم شرحوا الأجسام وتعرفوا مواقع الأعضاء منها وعرفوا عمل هذه الأعضاء فى بنية الحيوان، ومن ثم بلغوا حداً من المعرفة السليمة مكنتهم من الحد من المرض واستئصال الداء."[4]

---

[5] أبن قيم الجوزية، الطب النبوى، كتاب الجمهورية، القاهرة، 1992، صـ157.

[1] الإمام محمد ناصر الدين البانى، المصدر السابق، عن صحيح البخارى، صـ 69.

[2] الإمام محمد ناصر الدين البانى، المصدر السابق، عن صحيح البخارى، صـ 73.

[3] كثير من المصادر تناولت الطب النبوى فعلى سبيل المثال (كتاب الطب النبوى للإمام الذهبى) وكتاب الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية للحموى، وكتاب الطب النبوى لشمس الدين محمد بن بكر، وكتاب الطب النبوى لابن قيم الجوزية السابق ذكرها وغيرها.

[4] عباس محمود العقاد، أثر العرب فى الحضارة الأوربية، دار المعارف، القاهرة، 1960، صـ 26.

ويتساءل البعض عن الهوية الطبية للرسول الكريم(ﷺ) وما إذا كان الرسول(ﷺ) طبيباً أو أن ما ذكره من أمور طبية لا يعدو كونه اجتهادات ومعلومات.

والإجابة عن هذه التساؤلات ليست مجال دراستنا ولكن الرسول (ﷺ) باعتباره مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ البشرية من عثراتها المعنوية والحسية وأنه لاينطق عن الهوى، فقد أمده الله سبحانه وتعالى بما يجعله قادراً على مداواة الأجسام بعد براعته فى مداواة النفوس.

والحق أن الرسول الكريم (ﷺ) كان يجمع بين العلاج المعنوى النفسى والعلاج الجسمانى فيروى عنه (ﷺ) أنه بينما كان واقفاً يصلى لدغه عقرب فقال (ﷺ) (لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولا غيره وأتى بإناء به ماء وملح وبدأ بوضع إصبعه موضع اللدغة فى الإناء ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين) فجمع بذلك بين العلاج المتاح آنذاك والعلاج النفسانى وهو الرقى الخالى من غريب الكلام والطلاسم.[1]

ومما يؤثر عن الرسول (ﷺ) حديث يقول فيه: "إن العلم نوعان علم الأبدان وعلم الأديان"[2] ويدلل هذا الحديث على مبلغ اهتمام الرسول الكريم (ﷺ) بعلم الأبدان وجعله قرين علم الأديان، فصحة الأبدان تقوى الإنسان على العبادة والعمل والجهاد فى سبيل الله، لذا فقد قام الرسول (ﷺ) بأعمال طبية كثيرة ووصف كثيراً من الأدوية لكثير من أمراض عصره. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أهدى إلى رسول الله (ﷺ) طبقاً فيه تين فأكل وقال لأصحابه كلوا فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس.[3]

ويضم القرآن الكريم الذى أنزله الله على قلب نبيه الكريم (ﷺ) الكثير من الآيات التى تحمل الطمأنينة والأمل فى الشفاء حتى عرف بالتداوى بالقرآن الكريم من هذه الآيات

---

[1] الإمام محمد ناصر الدين البانى، المصدر السابق، عن صحيح البخارى، صـ 77.

[2] الإمام محمد ناصر الدين البانى، المصدر السابق، عن الطبرانى، صـ 111.

[3] رواه أيضاً أبو الدرداء، عن أبن القيم، زاد المعاد، صـ269/4.

قوله تعالى: ﴿**وَيَشْفِ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِين** ﴾ 15 التوبة، ﴿**فيه شفاء لِلْنَاسِ** ﴾ 69 النحل، ﴿**شفاء لِمَاَ فِي الَّصُدُورِ**﴾ 57 يونس ﴿**ونَزَّل مِنْ القُرْآنِ مَاَهُوَ شِفَاَء وَرَحْمِةٍ لِلْمُؤْمِنِين**﴾ 82 الإسراء، ﴿**وإِذَا مَرِضْتُ فَهَوَ يَشْفِين**﴾ 80 الشعراء، ﴿**قَلْ هُىَ لِلَذِين آمَنُوُا هُدَىً وَشِفَاَءً**﴾ 4 فصلت.

ولم يكن الطب النبوى مجرد آيات تتلى وأحاديث تروى ولكنه كان طباً يخضع لقواعد وأصول مرعية، كانت أيضاً تحكم هذه الصناعة[1] أمور عدة حتى تؤدى وظيفتها على أكمل غاية حتى تؤتى الفائدة المرجوة منها، ومن هذه الأمور:

١) الحث على المداواة واختيار أفضل الأطباء.
٢) المسئولية الطبية فى الإسلام ومعاقبة من يطيب الناس وهو جاهل بالطب.
٣) ذكر صفات الطبيب الحاذق بالإسلام.
٤) ذكر واجبات الطبيب.

دور العلاج الإسلامية:

وقد أدرك الرسول (ﷺ) أهمية أن يكون للمريض مكان خاص يستريح به ويلقى العناية الكافية التى تساعد على سرعة شفائه وعودته إلى حياته العادية.

فقد روى مسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل من قريش يدعى ابن العرقة، رمى فى كاحله، فضرب رسول الله (ﷺ) خيمة فى المسجد يعوده من قريب، وقال ابن إسحاق فى السيرة: "كان رسول الله (ﷺ) قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده كانت تداوى الجرحى.[2]

بهذا كانت خيمة رفيدة أول دار للعلاج فى الإسلام، أمر الرسول (ﷺ) بإقامتها فى ميدان المعركة [3] ثم أعقبها عبد الله بن الزبير بإقامة خيمة بجوار الكعبة أثناء حروبه مع الدولة الأموية التى انشق عليها، ينقل إليها المرضى والجرحى للعلاج.[4]

---

[1] أحمد الشطى، الطب عند العرب، صـ37، 55.
[2] البخارى، الجامع الصحيح، صـ 463.
[3] أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات الاسلامية، دار التراث العربى، بيروت، صـ9.

ورغم أن مثل هذه الأماكن لا ترقى لأن يطلق عليها دار للعلاج، فإنها كانت بمثابة إثارة الانتباه لأن يكون للمرضى مكان لائق لإقامتهم من حيث الراحة والهدوء وتلقى العناية والعلاج بصورة أفضل مما لو كانوا فى أماكنهم الطبيعية.[5]

ولعل الباعث على التوسع فى تشييد تلك المنشآت كان غير طبى، بيد أن المحرك الأول والدافع القوى كان مبعثهما عقائدياً، اتساقاً مع ما ينادى به الإسلام من التراحم وبذل التضحية ومعاونة الغير، الأمر الذى ينال به المسلم أجراً ومثوبة من الله فهو صدقة جارية حث الرسول الكريم (ﷺ) فى حديثه الشريف على اغتنامها والفوز بها.

ومنذ العقود الأولى من العهد الإسلامى انبرى العديد من المسلمين حكاماً ومحكومين من ذوى اليسار والتقى لتشييد دور العلاج على اختلاف أنواعها، هذا وقد عرف المسلمون أنماطاً عديدة من دور العلاج وإن اختلفت فى مقدار ما تقدمه من خدمة والأسباب التى أفضت إلى إقامتها، ومنها:

1) دور العلاج الثابتة مثل [بيمارستانات[1] الإقامة والعلاج أو مايطلق عليها مستشفى فى وقتنا الحاضر، بيمارستانات السجون[2]– بيمارستانات المدارس[3]].
2) دور علاج العزل مثل [دور المجانين – دور الزمتى (ذوى العاهات والموبوئين)].
3) دور العلاج المتنقلة مثل [بيمارستانات الجيش[4]– بيمارستانات السبيل[5]– بيمارستانات المحمولة[6]– بيمارستانات الإسعاف[7]].

---

[4] سعيد الديوه جى، الموجز فى الطب الإسلامى، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، سلسلة الكتب المتخصصة، ط1، 1989، الكويت، صـ59.

[5] سعيد الملاح، بيمارستانات الفترة المملوكية، مجلة عاديات حلب، صـ 52–77.

[1] البيمارستان: بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض و(ستان) بمعنى مكان أو دار، أى (دار المرضى) ثم اختصرت حتى صارت تنطق (مارستان).

[2] بيمارستان السجن، وهى المخصصة لمعالجة المسجونين، وأقدم ذكر لها يعود إلى القرن الثالث الهجرى وأول من أقامها (على بن عيسى الجراح) وزير الخليفة المقتدر العباسى. انظر محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، رسالة دكتوراه غير منشورة، صـ43.

[3] بيمارستانات المدارس، وهى التى كانت تلحق بالمدارس الكبرى، وأول من فكر فى إلحاقها بالمدارس السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى. أنظر أبن ايبك الدوادارى، الدر المطلوب فى أخبار ملوك بنى أيوب، القاهرة، 1972.

[4] بيمارستانات الجيش، وهى التى كانت تصاحب الجيوش فى الحروب، وكان النبى (ﷺ) أول من أمر بالمستشفى الحربى، للمزيد انظر د. أحمد الشطى، فى تاريخ الطب، صـ116.

4) دور الرعاية الخيرية (الملاجئ) مثل: [دور الحضانة [1]– دور الأيتام [2]– دور العجزة[3]– دور العميان[4] – الأربطة[5]].

على أى حال بدأت دور العلاج تنتشر شيئاً فشيئاً تبعاً لتقدم العلوم الطبية وتلبية لحاجات الإنسان لمثل هذه الأبنية. ولكن قبل أن نبدأ فى عرض أهم المنشآت العلاجية الإسلامية، يجب أن ننوه عن أقرب الأمثلة التى استقى منها المسلمين فكرة إنشاء هذه الدور. فمن المعروف أن بلاد الفرس ارتبطت مع بلاد العرب منذ القدم بعلاقات تجارية وثيقة وكانت تمثل إحدى الحضارتين العريقتين فى تلك الأوقات، لذا ليس بغريب أن يحذوا العرب حذو الفرس فى بعض الأمور الحضارية وكان على رأسها الطب. وكان من مفاخر دولة الفرس ذلك البيمارستان الذى شيد فى جنديسابور [6] والذى يعد من أكبر البيمارستانات التى أقيمت فى الشرق، وكان هذا قبل الإسلام بثلاثة قرون، وترجع أهميته إلى أنه كان أيضاً

---

[5] بيمارستانات السبيل: وهى التى كانت ترافق القوافل سواء كانت تجارية أو للحج وأول من صاحبها فى سفره كان معاوية بن أبى سفيان. للمزيد انظر سعيد الديوه جى، دور الرعاية والعلاج فى الإسلام، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1966، صـ32.

[6] البيمارستانات المحمولة، وهى التى كانت بمثابة قوافل طبية تجوب المناطق النائية لتقديم الخدمات الطبية، وتعود فكرة إنشائها أيضاً إلى (عيسى بن الجراح)، انظر محمد كامل حسين، الموجز، صـ233.

[7] بيمارستانات الإسعاف، وهى التى كانت تقام بمصاحبة التجمعات والمهرجانات والاحتفالات وأول من أنشأها محمد بن طولون عام 465هـ، انظر سعيد الديوه جى، نفسه، صـ35.

[1]،[2] دور الحضانة، وهى التى أقيمت لرعاية الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم، وأول من أقام داراً للحضانة كان مظفر الدين كوكبورى صاحب أربل، أنظر سعيد الديوه جى، نفسه، صـ38–39.

[3]،[4] دور العجزة، وأقيمت لمن فقدوا القدرة على إعالة أنفسهم، وأول من أقامها كان الوليد بن عبد الملك، انظر زهور سخنينى، متحف الطب والعلوم عند العرب، دمشق، صـ 12، سعيد الديوه جى، نفسه، صـ45–46.

[5] الأربطة، كانت من أعظم المنشآت الخيرية التى أقامتها الدولة الإسلامية، فقد أقيمت فى مختلف الأقطار الإسلامية وأصبحت للرجال وللنساء، انظر سعيد الديوه جى، دور الرعاية والعلاج فى الإسلام، صـ42–45.

[6] جنبديسابور، مدينة بخوزستان ويقال لها الخوز، وهى إقليم واسع بين البصرة وفارس، بناها سابور الأول الساسانى أبن أردشير وأسكنها اسرى الروم الذين وقعوا فى أسره إثر حربه مع الإمبراطور الرومانى أورليان، ثم فتحها المسلمون صلحاً فى سنة 17هـ/638م فى أيام عمر بن الخطاب فتحها أبو موسى الأشعرى، وأخذت فى التدهور حتى زال أثرها. انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، 1968، جـ2، صـ214.